



مختص: إنسان نادر على طريقته

ضو البيت ومريود وفيهما يعدد صالح إلى استلهام التاريخي والأسطوري ويتوغل في تراث الأمة الأصيل ووعيتها الجمعي وهنا تجيء النقلة النوعية ففي موسم الهجرة إلى الشمال اتجاه الرحلة الآخر إلى شرق/ غرب/شمال/ جنوب وهنا عودة إلى الذات، توغل في المنبع بتندر شاه الوافد الغريب أبيض اللوم بتمنازج ويتزوج من سمرء ويدخل في صميم المجتمع المحلي. بندر شاه وابنه يحدثان الكثير من التغييرات في بنية مجتمعه الرواية. وهكذا تقف إزاء لغز الحياة العصبي، أين وكيف الخلاص؟ يجيب الناقد الراحل عبد الوهاب حسن خليفة (خلاص الإنسان السوداني في اقترابه من جذوره الصوفية وأن ابتعاده عن تلك الجذور سوف يجر عليه المتاعب والفوضى) كما فهم الناقد من روايات صالح.

مما تقدم نستخلص: (١) إن قصص وروايات صالح تتميز بالتجريب داخل إطار نمط قوامه الرواية الكبيرة والممتدة. (٢) في الروايات تحددت أنماط البطولة كالبطل الإشكالي في موسم الهجرة والشعبي في عرس الزين والأسطوري في بندر شاه ضو البيت ومريود. (٣) إن أعمال الطبيب صالح القصصية أو الروائية يغلب فيها المتحول على الثابت وإنها تجسد تجسيدا كاملا الوجودي السوداني وتصدر عنه في عمق وشفافية وإدراك لأهم قضاياها وعليه فكل ناقد دقيق أو كل قارئ عميق أو كل محب لأدب براهن على عظمة هذا الكاتب ويعطيه بجدارة امتياز التمثيل الحق لوجدان الشعب السوداني لأنه ذاكرة حية وبقطة لامتنا السودان العظيمة.



إلا إن كثيراً منا يعيشون لحظات مظلمة من اليأس، ونحن نعرف أن رجالاً يرددون حلا يواصلون عملهم بنشاط تحت ستار الحرب ضد الإرهاب، وبينما تندفع صواريخ cruise missile إلى السماء توقع العقود، وتسجل براءات الاختراع، وتبنى أنابيب النفط وتنهب الثروات الباطنية وتخصص مصادر المياه .

وحتى أنابيب النفط وتنهب الثروات الباطنية وتخصص مصادر المياه . وجورج دبليو بوش مصمم على شن حرب على العراق، وإذا نظرنا إلى هذا النزاع بوصفه مواجهة مباشرة بين "الإمبراطورية" وبين الذين يمارسون المقاومة من جانبنا، سيبدو أننا نحن الخاسرين.

ولكن يمكن للمرء أن ينظر للأمر بشكل مختلف. لقد بدأنا باستنزاف الإمبراطورية. وربما أننا لم نستطع، لم نستطع بعد، أن نوقفها، ولكننا أجبرناها على نزع قناعها. ومن المتوقع أن تخوض الإمبراطورية الحرب ولكنها تكشف وجهها الحقيقي الآن بكل صراحة. فهي كرهية إلى درجة لا تحب معها أن تنظر في المرآة .

وهي ليست بقادرة أن تكسب إلى صفها حتى شعبيها الخاص. وإن قصر أو طال الأجل فإن غالبية الأمريكيين ستنتظم إلينا. منذ أيام قليلة اجتمع ربع مليون إنسان في واشنطن في مظاهرة ملهضة للحرب ضد العراق. وصوت الاحتجاج يعلو.

كان تاريخ أمريكا قبل ١١/ البلول (سبتمبر) مستقرا مخفيا خاصة عن الأمريكيين. إلا أن أسرار أمريكا أصبحت الآن تاريخا، وهذا التاريخ معروف بشكل عام. اليوم نعرف أن الحجج الممهدة للحرب ضد العراق هي مجرد أكاذيب، ومما يبعث على الضحك بشكل خاص هو القول بأن الحكومة تريد أن تجلب الديمقراطية للعراق، ولكن قتل البشر لحمايةهم من شرور الديكتاتورين أو من الفساد الأيديولوجي إنما هو رياضة قديمة تمارسها الحكومات الأمريكية . ميكي ماوس ومشايخ الدين لا يتك أحد أن صدام حسين ديكتاتور، وأنه قاتل. إلا أن أوضاع العالم كله ستكون أفضل بدون شخص يدعى مستر بوش . فهو أخطر بكثير من صدام حسين، انه لو اوضح مثل الشمس أن بوش

د.مصطفى الصاوي تأملات في عالم الطبيب صالح التخصصي الروائي

الصوفي والديني ومفتحت من ذاكرة مشبعة بالوجد والغيبيات وجاءت حاملة لشخصيات مرجعية (السهر وردي) و (رابعة العدوية) وكان للحيوانات دور في القصة (الجمال) ولا تخفي دلالاته الدينية. هذا النص يتفهي على وحدة الوجود ويتشد الراحة والأمان في كنف المدينة المنورة باعتبارها قضاء للقداسة والظهر.

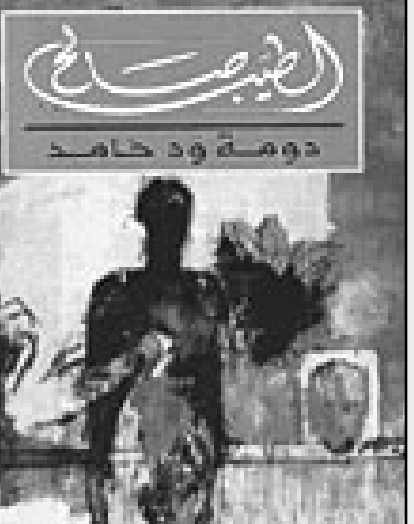
الجانب الأخير في التأملات نبداه برواية عرس الزين والتي تعبر عن لحظات التصالح والتسامح فالزین بنمذجته التي تصنف في (البطل الشعبي) يتحول إلى نقطة استقطاب لكل مجتمع القرية (جماعة محبوب) أمهات البنات (فتيات) إضافة للشخصيات التي تعيش في هامش القرية والتي كان بارا بها (موسى الأعرج) و (عشمانة الطرشاء) و (بخيت) المشوه. وتشعل صلة الزين بالحنين الشيخ الصوفي دلالة عميقة على قدرة استقطاب الزين لكل فئات المجتمع وفي عرسه حيث لحظة الفرح الحقيقية والتصالح تتوحد كل المتناقضات قبائل بأسرها تحضر الفرح/ أهل الكبو/ ناس الجامع/ المداحين/ السكارى أو جميعهم ظللتهم طاقات الحب المتنامية في الزين/ وتقف رواية موسم الهجرة للشمال كدليل ساطع على قدرة الكاتب في تحطى إبداعه وتجاوزوه وتنوعه فالهاجس الطاعسي على هذه الرواية هاجس أيديولوجي حتى تتجلى فيه العديد من الأيديولوجيات المتصارعة.

(١) الصراع بين المستعمر والمستعمر (الوجود البريطاني في السودان). (ب) أيديولوجية سودانية (الثقافية) (صراع مصطفى سعيد مع البريطانيين) (ج) أيديولوجية اجتماعية (مقاومة حسنة بنت محمود لإرهابها من الزواج بود الرئيس) بالإضافة إلى مفاهيم التغيير الاجتماعي ووصف السلطة التي أعقت خروج المستعمر. أما آخر العقود فهما روايتا بندر شاه



فالطفل رمز المستقبل والبراءة يرفض الاستغلال والجور مهما كانت المبررات. وتتضمن المجموعة أيضاً عدداً من القصص تتناول العلاقة بين الشرق والغرب (رسالة إلى إيليت).

ومجموعة القصص الأكثر قصراً في الصفحات الأخيرة من المجموعة وتركزت هذه المجموعة من القصص على العلاقة مع الآخر ووعي الذات وفي قصة (دومة ود حامد) والتي يغلب عليها الأيدولوجي الساخر تقف الدومة شامخة في القرية وقد أضحت مزاراً تجلله هالات القداسة ونقطة استقطاب لكل حدث في القرية مهما صغر أو كبير وقد حاولت الحكومة إزالة صغرها فأعرض الأهالي الأمر بكل جدية وهنا يفجر الطبيب أحداثاً فرعية متصلة بالقصة فالمعارضة السياسية في البرلمان تتاجر بقضية الدومة والأهالي أنفسهم لا يعرفون لئون الحكومة فهي في واد وهم في واد وتنتفي المشكلة لأن المكان يتسع لكل الأشياء الدومة والفرح ومكنة الماء) ورسالة الطبيب جده الذي يحبه وبعض من أصدقاء هذا الجد يأخذو كل محصول مسعود إيقاف لدين كما فهم الصبي وحينما يناوله جده بعض من بلح مسعود يتقيا التمر (دخلت أصعبي في حلقي وتقيأت التمر)



يقولها المزارع (بفتح الله) وينجلي الموقف في لحظة التصعيد القصصي وبدء انحداره نحو الحل بقدم رسالة من ابن المزارع الغائب في مصر وفيها مصاريف تلك الأزمة. وفي ذات المجموعة قصة حقلة تمر) ويطلبها صبي يبعد جده الذي يحبه وبعض من أصدقاء هذا الجد يأخذو كل محصول مسعود إيقاف لدين كما فهم الصبي وحينما يناوله جده بعض من بلح مسعود يتقيا التمر (دخلت أصعبي في حلقي وتقيأت التمر)

لكل ما سبق فقد تبوأ صالح مكانته السامية في سجل الرواية العربية.

(ب) إذا كان (غابرييل ماركيز) قد صاغ في أعماله الروائية ملحمة شعوب أمريكا اللاتينية، و(نجيب محفوظ) في مسيرته الإبداعية الثرية والغنية قد عبر عن الوجدان المصري ورصد بعين الفنان التغييرات الاجتماعية والسياسية في مصر فإن (الطبيب صالح) في متخيله الروائي يعبر بصديق وشفافيه عن البيئة السودانية بكل ما تحتوي من عادات وقيم ومعتقدات وروح صوفية عميقة في نبض روايتي بعيد عن الضجيج والنرجسية وصاحب ذلك صبر وأناة في الإنتاج الإبداعي ولعل هذا يفسر قلة إنتاجه ومشروعه الروائي الذي لم يكتمل بعد وهو في حدود ذلك المشروع يحافظ على ثوابت كاملة في أعماله أهمها استلهام روح وتراث الشعب السوداني من قص شعبي وتاريخ وأسطورة. إذن فهو يكتب في إطار نبض الشعب والوطن وهو بهذا يمثل قيمة إبداعية يجب تقديرها ووضعها في مكانها اللائق بها مثلما تفعل كل الأمم وكل الشعوب الراقية والمتحضرة.

(ج) نبذاً في تأمل عالم الطبيب صالح الإبداعي بالقصة وقد اصدر قبل مدة طويلة جداً مجموعة قصصية موسومة بـ (دومة ود حامد) ثم نشر في الصحف السبارة قصا عديدة أميرها (الرجل القبرصي) و (يوم مبارك على شواطئ أم باب) والمتأمل في عالم (دومة ود حامد) القصص بأسره وبأخذ بلبه القصص المشوق وحبوية الشخصية والتي على بساطتها تنسم بالنزعات الإنسانية والعمق ففي قصة (نخلة على الجدول) تاجر ثري يساوم مزارعاً على نخلته والأخير قد انهكه العوز والعيد على الأبواب ومتطلبات الأسرة كبيرة وضيق ذات اليد فبدأ التاجر في المساومة وهنا تتداعى ذكريات المزارع عن النخلة رمز الحياة والصمود في القصة ويتنازع الموقف القصصي شد وجذب وتسيطر عليه نغمة (أساس)

أرونداتي روي

الامبراطورية.. ونحن!



وليس تحريم الأسلحة الكيماوية والنووية. وليت مطلوبة المعاهدات الخاصة بحماية الطقس، ولا - استغفر الله- إقامة محكمة جنائية دولية. هذا كله يمثل "الإمبراطورية": هذا التركيز المعيب للسلطة، هذه الهوة الهائلة بين فوق وتحت.

إن موضوع السوق الحر الذي يتغلب على الحواجز القومية هو أسطورة. إن السوق الحر يدمر الديمقراطية. والهوة بين الأغنياء والفقراء تتسع باستمرار، والصراع على مصادر الطاقة والمواد الخام (يزداد عدوانية ولغرض مصالحها ولتملك منتجاتنا الزراعية، والماء الذي نشربه، والهواء الذي نتنفسه وأحلامنا، تحتاج العولمة لرابطة عالمية من الحكومات الموالية والفاسدة في البلدان الفقيرة، لدفع إصلاحات غير شعبية بالقوة ولقمع الانتفاضات.

جوجارات. وكانت مذنبعة مدعومة من الدولة. وجرى اغتصاب نساء مسلمات ثم جرى احراقهم بعد ذلك وهن أحياء، وأحرقت محلات تجارية، ودور سكنية، وجوامع .

أسطورة السوق الحر

أثناء احتراق جوجارات كان رئيس الوزراء الهندي يقدم أشعاره الجديدة في MTV. في شهر ديسمبر- كانون أول أعيد باغلبية كبيرة انتخاب الحكومة التي نظمت القتل. ولم يحاسب أي مسئول عن المذبحة. وتقلد نارندا مودي، مهندس المذبحة والذي يعزى بعضيته في (RSS) ولايته الثانية كرئيس للوزراء في جوجارات. لو كان بالطبع إذاعة كل هذه الفضاعات ولكن لأنه ليس هو، وأن "السوق الهندي" مفتوح للمستثمرين العالميين لم يأت ذكر المذبحة ولا حتى موضوع هامشي خجل. يعيش في الهند أكثر من مائة مليون مسلم. هناك قبيلة موقوتة تجري عقابها في بلدنا العريق.

خذوا حذرکم منا فنحن كثرة وانتم قلة الكفاح ضد الإمبراطورية - ولكن كيف؟ سؤال كبير وليس عندي أجوبة سهلة. وماذا تعني الإمبراطورية؟

هل تعني الحكومة الأمريكية (وتوابعها الأوروبية) والبيك الدولي، وصندوق النقد الدولي، ومنظمة التجارة العالمية، والشركات متعددة القوميات؟ أم أنها أكثر من ذلك؟

في العديد من البلدان أنشأت الإمبراطورية وكالات لخدمتها وجاءت بظواهر خطيرة مصاحبة: اللاتسامح والتعصب القومي، والتعصب الديني، والفاشية وبالطبع الإرهاب. كل هذه الظواهر مرافقة للعولمة.

أود أن أشرح هذا

تقف الهند، أكبر ديمقراطية في العالم في أعلى قائمة المعولمين. وترحب الحكومة الهندية والنخب بالخصخصة والشركات الأجنبية. وليس من المصادفة أن يكون رئيس الوزراء، ووزير الداخلية، ووزير تهريب الرأسمال، هم نفس الرجال الذين وقعوا الصفقة مع شركة إيسرون، وهم الذين يبيعون القاعدة الارتكازية للبلد للشركات متعددة القوميات الأجنبية. وهم نفس الرجال الذين يريدون خصخصة الماء والكهرباء والبتروول والفحم والرعاية الصحية والتعليم والاتصالات التلفونية. وكلهم أعضاء أو متعاونون مع جماعة راثنريا سوايا مسيفاك ساغ (RSS)، وهي جماعة يمينية متطرفة، يجاهر أتباعها باعجابهم بهتلر وأسالينه .

ويجري تفكيك الديمقراطية بنفس السرعة والفعالية التي يتسم بها برنامج التكيف الهيكلي. إن دفع عملية الخصخصة و"إصلاح" سوق العمل تطرد الناس من أراضيهم ومن وظائفهم. هذا الجو اللطيف بالإحباط ومن تبدد الأوهام على نطاق البلد، يقدم كما بين التاريخ، التربة المثالية للأيديولوجيات الفاشية. ونزاعا الحكومة الهندية تتساقن مع بعضها بدقة كاملة. وبينما ينهك نراع بحماس في بيع البلد، يقود الآخر جوقة غاضبة من الأصوات القومية الهندية والدينية والفاشية. ويجري هذا النزاع كترباج نووية، ويغير صياغة كتب التاريخ، ويجرق الكنائس ويدمر الجوامع. في شهر آذار (مارس) ٢٠٠٢ ذبحوا ٢٠٠٠ مسلم في